الفصل الخامس
ورحل الرائد الطبيب والشاعر الإنسان
الشاعر الدكتور عمر الجارم فى ذمة الله

● كان لصاحب «البريد الإسلامى» الداعية المهندس محمد توفيق – رحمه الله – زاوية يحررها فى مجلته الغراء؛ لنعى الراحلين من أبناء الوطن والأمة عنوانها: «الفائزون بلقاء الله» تفاؤلاً بمكانتهم عند ربهم – تبارك وتعالى – واستحضاراً لمعنى قوله تعالى فى ختام سورة الكهف: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً** ﴾ [الكهف: ١١٠]

– وفى ثغر الإسكندرية بمصر الكنانة صباح يوم الأحد العاشر من شهر رجب ١٤١٦ هـ الموافق الثالث من ديسمبر ١٩٩٥ م صعدت روح رائد الطب وشاعر الأطباء العبقرى الدكتور عمر عبد المحسن الجارم إلى ربها، ويسترد المولى – عز وجل – وديعته، بعد عمر حافل بالعطاء الرائد فى مجال طب الأعصاب فى مصر والبلاد العربية والإسلامية، تبوأ خلاله فقيد العلم والأدب مكان الصدارة فى خدمة العلم والأدب.

● لقد رحل شاعرنا الطبيب الرائد دونما مرض أو سبب من علة بالجسم أو نحو ذلك، وإنما السبب هو أوان الأجل: ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ [الأعراف: ٣٤]، ومن الأمور المحزنة فى حياتنا أننا نغفل كثيراً عن ذكر الموت؛ ولذا يلح علينا الذكر الحكيم والسنة النبوية المطهرة فى الاستعداد للقاء الله واستحضار الأجل ومن ذلك ما ورد فى معنى الحديث الشريف: كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وقد أوصانا الحبيب ﷺ بالإكثار من ذكر الموت فى حديث آخر، إذ يقول فيما معناه: أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا.

● ولا شك أن رحيل الطبيب الأستاذ الدكتور / عمر الجارم رائد طب الأعصاب فى مصر بخاصة والوطن العربى بعامة خسارة كبرى للعلم والأدب؛ لأن الدكتور عمر الجارم فضلاً عن صفته فى الريادة الطبية والأستاذية العلمية التخصصية، شاعر عبقرى يرقى شعره إلى مصاف شعراء مدرسة الشعر الأصيل بيانا وخيالاً وجمالاً وجلالاً، ويشهد على ذلك ديوانه (الشعر الواضح) الذى أصدره منذ بضع سنين، فضلا عن كونه عضواً مؤسسًا لاتحاد كتاب مصر وراعيًا للحركة الأدبية والثقافية فى ثغر الإسكندرية زهاء ستة عشر عامًا من خلال رئاسته لهيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية كبرى الجمعيات الأدبية والثقافية المؤثرة فى الإسكندرية وهى الهيئة التى استضافها فى عيادته لتمارس نشاطها فى التنوير الثقافى والتربية الأدبية والهداية الروحية سنين طويلة.

● ومن لطائف الأقدار أن شاعرنا الطبيب فجع بوفاة والده الأستاذ الشيخ عبد المحسن الجارم فى يوليو سنة (١٩٣٠ م) – رحمه الله – بمدينة رشيد الباسلة، فيما كان يؤم المصلين يوم الجمعة بعد أن ألقى خطبة الجمعة فى مسجد (المحلى) الشهير برشيد وحضهم فيها على الصبر، وكان شاعرنا الفتى بين المصلين حيث سقط أبوه الإمام فى الركعة الثانية فرثاه بقصيدة نظمها بعنوان (أبى) – وكأنه لعجب الأقدار يرثى نفسه بعد قرابة ستين عامًا من نظمها فى أبيه حيث نظمها عام ١٩٣٥م يقول فيها ببيانه العالى – رحمه الله – :

ناداكَ ربك فاستجبتَ ملبيًا ... وذهبت تُؤْثِرُ جيرة الرحمن
لا قيته فى بيته متهيّئًا ... فاجتزت من طهر إلى رضوان
زخر «المحلى» يومها فى جمعة ... صارت يتيمته على الأزمان
وعلوت منبره وكانت خطبة ... جمعت مزايا الصبر والسلوان
ووقفت بين يديه جل جلاله ... فأضاء محراب من الإيمان
والناس مصطفون خلف إمامهم ... يتمايلون لصوته الرنان
قد كنت ممن ينصتون متابعا ... فإذا به قد غاب عن آذانى

وسمعت لحظتها ارتطامة من هوى نعم الشهيد يخر فى الميدان
أكذا الشموس تغيب عن أفلاكها أكذا الأفول يكون بعد ثوان ؟!

● ويُعد الشاعر الطبيب الدكتور عمر الجارم معلماً بارزاً من معالم الطب والشعر فى عصرنا الحاضر، ولا يقل نبوغه فى الشعر عن نبوغه فى الطب، وليس ثمة تناقض بين المجالين، فكلاهما يُطبّبُ جراح الإنسان الجسدانية والروحانية، ويأخذ بيد الإنسان صوب عالم الكمال والسعادة ودنيا الحق والقوة والحرية، ويدعم ذلك التزاوج الدافئ بين الطب والشعر تخصص شاعرنا الطبيب الأستاذ فى مجال الأمراض العصبية والنفسية، حيث ابتعث إلى إنجلترا سنة (١٩٤٨م) لدراسة الأمراض العصبية والنفسية، ويعود شاعرنا الطبيب من بعثته عام (١٩٥١م)؛ لينشئ قسم الأمراض العصبية والنفسية بكلية الطب فى جامعة الإسكندرية ثغر مصر الباسم العريق، ولذا يُعدُ شاعرنا فى مجال الطب رائداً فى تخصصه وعمدة من عمد الطب النفسى والعصبى فى بلادنا العربية والإسلامية وتعتبر أبحاثه ومحاضراته ومؤلفاته فى مجال تخصصه مراجع يلوذ بها الدارسون والباحثون ومنارات يهتدى بها الحائرون، لأجل ذلك أستحق شاعرنا الرائد – عن جدارة واقتدار – وصف « شاعر الأطباء وطبيب الشعراء » ولم يكن غريباً أن ينظم الشعراء الكبار عذب أشعارهم، تغنياً بموهبة الدكتور عمر الجارم وحكمته، ومهارته فى طب النفوس والأجساد؛ فضلاً عن عبقريته فى مجال الأبداع وامتلاك ناصية البيان.

– ومن يَزُرْ عيادة الدكتور عمر الجارم فى محطة الرمل بثغر الإسكندرية تطالعه أشعار كثيرة فى الإشادة بعبقرية الشاعر الطبيب فى الطب والشعر أبدعها شعراء كبار من أمثال الشاعر محمود عبد الحى صاحب ديوان (أصداف الشاطئ) والشعراء محمد برهام وحسن شهاب وعبد العليم القبانى ... وغيرهم.

● وشاعرنا الدكتور عمر الجارم ينتمى إلى مدرسة الشعر العربى الأصيل.

شعر البيان الجميل والموهبة الفطرية والصورة المبتكرة والعاطفة الصادقة، ويعد شعره امتداداً لشعر عمه على الجارم (شاعر العروبة) بخاصة وشعر مدرسة أمير الشعر والشعراء أحمد شوقي بعامة، والشعر عند شاعرنا يعنى (الإلهام) وتفسير ذلك – كما يرى شاعرنا – أن الإلهام هو تلك « اللحظة الخاطفة »، والبارقة السريعة تهز بروعتها نفس المبدع، كما تهز نفس (المتذوق) ومن ثم تتولد – نشوة جمالية فورية تغمر الوجدان.

– يقول فى مطلع قصيدته فى مدح أستاذه الدكتور على حسن بك أستاذ علم التغذية فى كلية الطب – جامعة الإسكندرية:

أعددت من وحى الشعور قصيدى ... وجمعت من روض الوفاء ورودى
ونثرتها عفو المراد؛ فيالها ... جاءت بنظم رائع ونضيد
والشعر إن يكن للشعور مترجما ... يسمو لأوج فى البيان بعيد

● وفى قصيدته (الإسكندرية) التى ألقاها فى مهرجان الشعر الرابع بمدينة الإسكندرية فى أكتوبر ١٩٦٢م يقول فى مطلعها:

أهواك ملء جوانحى أهواك ... هلا تركت بقية لسواك؟
حَلّت صبابتك الفؤاد وجردت ... أمضى السلاح، فأين منى الشاكى؟

ويحدثها عن رشيد فيقول:

إنى أتيتك يافعا، لم أكتمل ... حُلُمًا، بمبتدإ من الإدراك
بَعَثَتْ إليك (رشيدٌ) برعوما فما ... وجدت خصيبا طيبا كثراك
فغدوت مثل (رشيد) أنضر وردة ... بينَ الرياض منيعة الأشواك

ويقدم نفسه للإسكندرية فيقول:

إسكندرية: هل يقدم نفسه ... متواضعا جم الحياء فتاك؟
أنا من صنعت فإن وددت فسائلى ... يُمنى يديك، وسائلى يُسراك
لى صنعتان، ولم أكن لأنال فى ... أىٍّ مهارة مبدعٍ لولاك

صوغ القريض، وما أتيت بمعجز هو درٌ بحرك صار عقد حُلاك
وشفاء أدواء العليل وإنما الفضل فيه إلى عليل صباك

● رحم الله شاعرنا الطبيب الأستاذ الذى جاءت أشعاره معبرة عنه وعن أمته ووطنه وتجارب حياته فى مختلف المواقف والخبرات الحيوية، والذى حافظ على بناء القصيدة وفق أصول إيقاع القصيد العربى وَقَدْ ضَمَّنَ شعره تجاربه وجديد أفكاره ومعانيه وطريف صوره وأخيلته، كما اتسع قالب الشعر العربى لإبداع الشعراء العرب والناطقين بلغة الضاد خلال ستة عشر قرنًا عبر مجالٍ واسع من النغم العذب فى ثوب فضفاض من بحور الشعر العربى التى لم تضق قط بتجارب الشعراء العرب فى مختلف العصور.

* * *

من صحيفة (المدينة) السعودية الغراء فى { ٤ / ٢ / ١٤١٧ هـ ، ٢٠ / ٦ / ١٩٩٦م

مُعَارَضَةٌ لِّقَصِيدَةِ الْجَارِمِ وَتَحِيَّةٌ وَدُعَاءٌ لِّلسَّمَيْطِ

بقلم : د. رَبيع السّعيد عبد الحيلم

أستاذنا الكريم الدكتور محمد يعقوب تركستانى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لقد شغلت عن مراسلتكم مدة طويلة ولكنى لم أنقطع خلالها عن العبّ من معين (ملحق التراث) الذى أتابعه باستمرار، إلا أحيانا قليلة عندما أكون خارج المملكة، ويتعذر حصولى عليه.

والذى دفعنى للكتابة – الآن – هو تأثرى بمقالة الأستاذ عبد اللطيف الجوهرى (ورحل شاعر الأطباء وطبيب الشعراء) (ملحق التراث، السنة العشرون، العدد الثالث – الخميس (٢٥ شوال ١٤١٦ هـ) رحم الله الشاعر الطبيب الأستاذ الدكتور عمر عبد المحسن الجارم.

ولقد تحدث الكاتب – فى مقدمة مقالته – عن الشعر والطب، وعلاقتهما بعضهما ببعض فذكرنى ذلك بمقدمة قصيدة متواضعة نشرتها لى مجلة (الممارس) التى تصدر عن (الجمعية السعودية لطب الأسرة والمجتمع) .

ومن عجب أن المقالة ذكرتنى – أيضا – بأبيات لى عن الإسكندرية (١٤ ذى الحجة ١٤١٤ هـ) جاءت على نفس روى قصيدة (الإسكندرية) للأستاذ الدكتور عمر عبد المحسن الجارم، ومن نفس بحرها (وإن كان قد أتى مجزوءا عندى بينما ورد تاما عنده) رغم أننى لم أطلع على قصيدته، أو أسمع عنها من

قبل، ولا زلت لا أعرف منها سوى الأبيات المقتبسة فى مقالة الأستاذ الجوهرى، وعجيب أمره لهذا الشعر !!.

وها هى أبياتى أعرضها عليكم، للنظر فى نشرها «بملحق التراث» معارضة بظهر الغيب لقصيدة شاعرنا الأستاذ الطبيب، فقيد العلم والأدب:

إسكندريَّةُ: هَلْ تُرَى بَعْـدَ الوَدَاعِ نَرَاكِ؟
وَنَعُودُ للجَوِّ الجَمِيلِ وَشَاطِئٍ يَهْوَاكِ؟
بَحْرٌ مُحِيطٌ مَوْجُهُ مُتَسَابِقٌ للقَاكِ
مُتَجَدِّدُ الأشْوَاقِ ذو حِرْصٍ عَلى رُؤْيَاكِ
أنفَاسُهُ أنشُودَةُ تَرْنِيمُهَا نَجْوَاكِ
ضَمَّ الثَّرَى بِسَعَادَةٍ وَلُجَيْنُهُ حَلاَّكِ
وَيَثُورُ لَوْ نَوْءٌ مِنَ الأنواءِ هَزَّ عُرَاكِ
لا تَغْضَبِى مِنْ ثائرٍ فِى وُدِّهِ يَرْعَاكِ
يَحْنُو عَلَيكِ مُبَاعِداً هَجَمَاتِ كُلِّ عِدَاكِ
وَيَجُودُ مِنْ أعْمَاقِهِ بِالرِّزْقِ فِيهِ غِنَاكِ

* ● * ● * ● *

بالمناسبة

مُعَارَضَةٌ لِقَصِيدَةِ الْجَارِمِ وَتَحِيَّةٌ وَدُعَاءٌ لِلسَّمَيْطِ

بقلم: إياد ربيع الشهيد عبدالحليم

أستاذنا الكريم الدكتور محمد يعقوب تركستاني
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لقد شغلت عن مراسلتكم مكة طويلاً، ولكنني لم أنقطع خلالها عن العبّ من معين (ملحق التراث) الذي أتابعه باستمرار، إلا أحياناً قليلة عندما أكون خارج المملكة، وبتعذّر حصولي عليه.

والذي دفعني للكتابة - الآن - هو تأثري بمقالة الأستاذ عبداللطيف الجوهري (ورحل شاعر الأطباء، وطبيب الشعراء) (ملحق التراث، السنة العشرون، العدد الثالث الخميس ٢٥ شوّال ١٤١٦هـ) رحم الله الشاعر الطبيب الأستاذ الدكتور عمر عبدالمحسن الجارم.

ولقد تحدّث الكاتب - في مقدّمة مقالته - عن الشعر والطبّ، وعلاقتهما بعضهما ببعض، فذكّرني ذلك بمقدّمة لقصيدة معواضعة نشرتها لي مجلة (المنارس) التي تصدر عن (الجمعيّة السعودية لطبّ الأسرة والمجتمع).

ومن عجب أنّ المقالة ذكّرتني - أيضاً - بأبيات لي عن الإسكندريّة (١٤ ذي الحجّة ١٤١٤هـ) جاءت على نفس روي قصيدة (الإسكندريّة) للأستاذ الدكتور عمر عبدالمحسن الجارم، ومن نفس بحرها (وإن كان قد أتى مجزوءاً عندي بينما ورد تامّاً عنده) رغم أنّني لم أطّلع على قصيدته، أو أسمع عنها من قبل، ولازلت لا أعرف منها سوى الأبيات المقتبسة في مقالة الأستاذ الجوهري، وعجيب أمره هذا الشعر!!

وهاهي أبياتي أعرضها عليكم للنظر في نشرها «بملحق التراث» معارضة بظهر الغيب لقصيدة شاعرنا الأستاذ الطبيب الفقيد العلم والأدب:

د. عبدالرحمن حمود السّميط

د. عمر عبدالمحسن الجارم

عبداللطيف الجوهري

إسْكَنْدَرِيَّةُ، هَلْ تَرَىٰ بَعْدَ الْوَدَاعِ نَرَاكِ؟
وَنَعُودُ لِلْحَوِّ الْجَمِيلِ وَشَاطِئٍ يَهْوَاكِ؟
بَحْرٌ مُحِيطٌ مَوْجُهُ مُتَسَابِقٌ لِلْقَاكِ
مُتَجَدِّدُ الأَشْوَاقِ ذُو حِرْصٍ عَلَىٰ زُرْيَاكِ
انْفَاسُهُ انْشُودَةٌ تَرْنِيمُهَا نَجْوَاكِ
ضَمَّ الثَّرَىٰ بِسَعَادَةٍ وَلَجَيْنُهُ حِلْيَاكِ
وَبَنُورُ لَوْ نَوْءٌ مِنَ الأَنْوَاءِ هَزَّ عُرَاكِ
لا تَغْضَبِي مِنْ ثَائِرٍ فِي وُدِّهِ يَرْعَاكِ
يَحْنُو عَلَيْكِ مُبَاعِداً هَجَمَاتِ كُلِّ عِدَاكِ
وَيَجُودُ مِنْ اعْمَاقِهِ بِالرِّزْقِ فِيهِ غِنَاكِ